

﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: 36]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

الانتقال من ذكر
مظاهر الخلق
إلى ذكر ما
توجبه من تنزيه
المولى

لَمَّا نَبَّهَ ﷻ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ عَلَى الشُّكْرِ فَقَالَ: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ إنكاراً على المشركين صنيعهم في ترك الشُّكْرِ على بديع خلقه سبحانه؛ نَاسَبَ الْإِنْتِقَالَ إِلَى تَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِنَ الْأَرْضِ، تَنْبِيْهًا عَلَى أَنَّ مَا ذُكِرَ مِنَ الْحَبِّ وَالْجَنَّاتِ مَا هُوَ إِلَّا أَمْثَلَةٌ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ أُخْرَى خُلِقَتْ مِنَ الْأَرْضِ كَذَلِكَ، وَلَمَّا كَانَ السِّيَاقُ لِإِثْبَاتِ وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِعْلَامِ بِأَنَّ مَا عُبدَ مِنْ دُونِهِ لَا اسْتِحْقَاقَ لَهُ فِي ذَلِكَ بِوَجْهِ، وَلَا نَفْعَ بِيَدِهِ وَلَا ضَرَّ، نَاسَبَ ذِكْرَ تَنْزِيهِهِ عَمَّا ادَّعَوْهُ مِنَ الشَّرِكِ غَايَةَ التَّنْزِيهِ⁽¹⁾.

✽ الْمَغْنَى الْإِجْمَالِي:

خالق المخلوقات
منزّه عن شرك
الأنداد محمود
في قلوب العباد

أَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَاتِهِ بِمَا هُوَ أَهْلٌ لَهُ مِنْ ثَنَاءٍ، فَقَالَ: تَنْزَّهَ اللَّهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الشَّرِكِ وَجَمِيعِ النَّقَائِصِ، الَّذِي خَلَقَ الْأَصْنَافَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُهُ الْأَرْضُ مِنَ النَّبَاتَاتِ وَالزُّرُوعِ وَالثَّمَارِ وَالْحَبُوبِ، وَمِنَ النَّاسِ أَنْفُسِهِمْ، وَخَلَقَ مِمَّا لَا يَعْلَمُونَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَمْ يُطْلِعْهُمْ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ طَرِيقًا إِلَى مَعْرِفَتِهَا تَفْصِيلًا؛ بَلْ عَلَّمَهُمْ ذَلِكَ بِطَرِيقِ الْإِجْمَالِ بِنَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الشُّع: 8]، لِيَسْتَدِلُّوا بِذَلِكَ عَلَى عَظَمَةِ الْخَالِقِ وَسَعَةِ مُلْكِهِ وَجَلَالَةِ قَدْرِهِ⁽²⁾.

(1) البقاعي، نَظْمُ الدُّرَر: 127/16.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 433/19، والسمعياني، تفسير القرآن: 376/4، والمراغي، تفسير المراغي:

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

بلغة الفصل في الآية ودلالته:

فَصَلِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِثُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ إِمَّا لِأَنَّهُ اسْتِنَافٌ، فَتَكُونُ الْجُمْلَةُ اسْتِنَافِيَّةً فِي حُكْمِ التَّذْيِيلِ لِمَا قَبْلَهَا؛ لِأَنَّهَا مَسْوقَةٌ لَتَنْزِيهِهِ تَعَالَى عَمَّا فَعَلُوهُ مِنْ تَرْكِ شُكْرِهِ عَلَى نِعَمِهِ الْعَظِيمَةِ الْمَذْكُورَةِ، وَاسْتِعْظَامِ مَا ذُكِرَ مِنْ بَدَائِعِ آثَارِ قُدْرَتِهِ وَأَسْرَارِ حِكْمَتِهِ وَرَوَائِعِ نِعَمَائِهِ الْمَوْجِبَةِ لِلشُّكْرِ، وَتَخْصِيصِ الْعِبَادَةِ بِهِ وَالتَّعَجُّبِ مِنْ إِخْلَالِهِمْ بِذَلِكَ وَالْحَالَةِ هَذِهِ⁽¹⁾.

النَّظَرُ فِي الْآيَاتِ
الْكُونِيَّةِ مُوجِبٌ
لَتَنْزِيهِهِ سُبْحَانَهُ
وَتَوْحِيدِهِ

وَإِمَّا لِأَنَّ الْجُمْلَةَ اعْتِرَاضِيَّةٌ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَايَةُ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾ وَمَا جَاءَ بَعْدَهَا لِتَمَامِ الْمَعْنَى وَقَوْلِهِ: ﴿وَعَايَةُ لَهُمُ النَّارُ النَّاسُ مِنْهُ النَّهَارُ﴾⁽²⁾، وَفَائِدَةُ الْاعْتِرَاضِ تَنْزِيَهُ اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ الْإِنْكَارِ عَلَى تَرْكِهِمْ شُكْرَهُ سُبْحَانَهُ لِمَا يَتَضَمَّنُهُ الْإِنْكَارُ مِنْ اسْتِمْرَارِهِمْ عَلَى الشُّرْكِ وَتَرْكِ الْعِبَادَةِ، وَعَلَى كِلَا الْوَجْهَيْنِ فَإِنَّ الْجُمْلَةَ تُفِيدُ الْإِطْنَابَ فِي الْكَلَامِ لَزِيَادَةِ بَيَانِ الْمَعْنَى وَإِيضَاحِهِ.

بَدِيعُ فَنِّ الْإِدْمَاجِ فِي الْآيَةِ:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِحْيَاءَ الْأَرْضِ وَإِخْرَاجَ الْحَبِّ مِنْهَا وَجَعَلَهُ فِيهَا الْجَنَّاتِ مِنَ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ، وَكَانَ لِذَلِكَ أَحْوَالٌ وَإِبْدَاعٌ عَجِيبٌ؛ ذَكَرَ بِتَعْظِيمِ مَوْدِعِ تِلْكَ الصَّنَائِعِ بِحِكْمَتِهِ وَالتَّعَجُّبِ مِنْ عَظِيمِ خَلْقِهِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾؛ فَجَاءَ الْكَلَامُ عَلَى طَرِيقَةِ إِدْمَاجِ غَرَضٍ فِي غَرَضٍ آخَرَ، لِتَضَمُّنِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ الْاسْتِدْلَالَ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى بِخَلْقِ الْأَزْوَاجِ⁽³⁾.

إِدْمَاجُ التَّنْزِيهِ
الْمَدَّالِّ عَلَى
التَّوْحِيدِ بِغَرَضٍ
ذِكْرِ عَجِيبِ
الْخَلْقِ

(1) أبو السَّعُود، إرشاد العقل السليم: 167/7، والآلوسي، روح المعاني: 10/12.

(2) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 15/23.

(3) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 15/23.

تنزيه الله تعالى
عَمَّا لَا يَلِيقُ
بِهِ مِمَّا ادَّعَاهُ
الْمُشْرِكُونَ

معنى ﴿سُبْحَنَ﴾ ودلالاتها في السياق:

﴿سُبْحَنَ﴾ عَلَّمَ دَالٌّ عَلَى التَّسْبِيحِ⁽¹⁾ الَّذِي هُوَ التَّبَعِيدُ عَنِ السَّوِّ اعْتِقَادًا وَقَوْلًا؛ أَي: اعتقادَ البعدِ عنه والحُكْمَ به، وانتصابه على المصدرية ولا يكادُ يُذكرُ ناصبه؛ أَي: أُسْبِحَ سبحانه؛ أَي: أنزهه عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ عَقْدًا وَعَمَلًا تنزيهًا خاصًا به حقيقًا بشأنه، فعلى القولِ بأنه عَلَّمَ للتَّسْبِيحِ، يَكُونُ حُكْمًا مِنَ اللَّهِ ﷻ بِتَسْبِيحِهِ وتلقينِ للمؤمنين أن يقولوا اللَّفْظَ على سبيلِ الأمرِ به، وأن يَعْتَقِدُوا مضمونه ولا يُخَلِّلُوا بِهِ وَلَا يَغْفُلُوا عَنْهُ، وَذَهَبَ بَعْضُ اللُّغَوِيِّينَ إِلَى أَنَّهُ مُصَدَّرٌ مِثْلُ (غُفْرَانِ)، أُرِيدَ بِهِ التَّنْزِيهِ التَّامُّ وَالتَّبَاعُدُ الْكُلِّيُّ عَنِ السَّوِّ، فففيه مبالغةٌ من جهةِ إسنَادِ التَّنْزِيهِ إِلَى الذَّاتِ الْمُقَدَّسِ، فالمعنى تَنَزَّهَ بذاته عن كلِّ ما لَا يَلِيقُ بِهِ تَعَالَى تَنَزُّهًا خاصًا به سبحانه، وإذا كان مُصَدَّرًا يَكُونُ مَنْصُوبًا بِفِعْلِ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: أُسْبِحْ، وعلى هذا التَّقْدِيرِ يَكُونُ الْكَلَامُ إِخْبَارًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِتَنَزُّهِهِ وَبِرَأْيِهِ عَنِ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِمَّا فَعَلُوهُ وَمَا تَرَكُوهُ⁽²⁾، ولإنشاءِ تَنَزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ أَحْوَالِ الْمُشْرِكِينَ تَنَزِيهًا عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِإِلَهِيَّتِهِ، وَأَعْظَمُهُ الْإِشْرَاقُ بِهِ وَهُوَ الْمَقْصُودُ هُنَا⁽³⁾، مع تأكيدِ التَّعْجِيبِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ لَتَنْبِيهِهِمْ عَلَى قُبْحِ مَا يَعْمَلُونَ مَعَ ظُهُورِ الْآيَاتِ، وَمَنْ تَعَجَّبَ مِنْ شَيْءٍ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ!⁽⁴⁾

غرض التعبير بصيغة ﴿سُبْحَنَ﴾:

فِي التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ ﴿سُبْحَنَ﴾ مِبَالِغَةٌ فِي التَّنْزِيهِ، فففيه مبالغةٌ في جهةِ الاشتقاقِ؛ لِأَنَّ اللَّفْظَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْفِعْلِ سَبَحَ الَّذِي يُفِيدُ التَّكْثِيرَ وَالمِبَالِغَةَ فِي التَّسْبِيحِ، فففيه عدولٌ عَنْ سَبَحِ الثَّلَاثِي، وفيه مبالغةٌ في

الزَّيَادَةُ فِي الْمَبْنَى
زِيَادَةٌ وَمِبَالِغَةٌ
فِي الْمَعْنَى

(1) ابن عادل، اللُّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ: 251 / 16.

(2) أَبُو السَّعُودِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 167 / 7.

(3) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 15 / 23.

(4) أَبُو حَفْصٍ التَّسْفِي، التَّبْسِيرُ فِي التَّفْسِيرِ: 357 / 12، وَالْقُرْطُبِيُّ، الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: 26 / 15.

جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس إلى الاسم الموضوع له خاصةً، لا سيما العلم وجهة إقامته مقام المصدر مع الفعل⁽¹⁾.

مناسبة إثار التسبيح على الحمد:

آثر النظم الكريم الإتيان بالتسبيح دون الحمد، فلم يقل: (الحمد لله الذي خلق الأزواج كلها)؛ بل قال: ﴿سُبْحَنَ﴾؛ وذلك للإشعار بأن الله تعالى ليس مثل المخلوقات، والمقام مقام تنزيه وتوحيد؛ لأن كَوْن كُلِّ شَيْءٍ يحتاج إلى أن يكون زوجاً يدل على كمال الواحد المتفرد الذي لا يُماثلُه شيء من مخلوقاته⁽²⁾، فكانت جميع الأصناف التي خلقها سبحانه هي زوجين، ليفيد مخالفة الخالق للمخلوق، فناسب التعبير بالتسبيح دون الحمد.

علة التعبير بالوصول في قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾:

جاء التعبير بالاسم الوصول في قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ دون الاسم الظاهر، للإيماء إلى وجه بناء الخبر؛ أي: لبيان سبب تنزيهه تعالى، وهو أنه تعالى ﴿خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾، وفي جملة الصلة تعظيم له سبحانه بذكر عظيم خلقه الظاهر للعيان.

نكتة التعبير بالماضي ﴿خَلَقَ﴾:

جاء التعبير بصيغة الماضي في الفعل ﴿خَلَقَ﴾ للإيماء إلى أن ما خلقه الله تعالى وسيخلقه إلى قيام الساعة في حكم التقضي، ففيه وعد من الله تعالى بأن الخلق مستمر إلى انقضاء زمان الحياة الدنيا، ففيه استدلال على صدق القرآن فيما أخبر، فهو من الإخبار بالغيب، وامتنان على عباد الله تعالى فيما خلق لهم، ويحتمل أن

كمال الخلق
ينادي على تنزيه
الخالق ابتداءً

بيان عايل
الأشياء خطاب
مقنع لمن تولى
الله عقله
بالحفظ

صدق القرآن في
الإخبار عن شئ
الله تعالى

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 167/7.

(2) ابن عُثَيْمِين، تفسير سورة يس، ص: 133.

يكون التعبير بصيغة الماضي لتنزيل مُنتظر الوقوع منزلة الواقع⁽¹⁾ تعميماً للدليل وللمبالغة فيه، وفي ظهور الإنعام⁽²⁾.

معنى (أل) في لفظ ﴿الْأَزْوَاجِ﴾:

(أل) في ﴿الْأَزْوَاجِ﴾ للجنس، وفائدتها استغراق اللفظ للأصناف والأنواع من كل شيء، والمعنى: (خلق جنس الأزواج كلها).

نكتة استعمال لفظ ﴿الْأَزْوَاجِ﴾:

الإيماء إلى تنزيه
الله تعالى عن
صفات المخلوقين

آثر النظم الكريم استعمال لفظ ﴿الْأَزْوَاجِ﴾، والمراد بها الأصناف والأنواع، وذلك لمناسبة الحكم بتنزيهه تعالى الدال على مخالفته تعالى للخلق كما تقدم، ففيها إيماء للفرق بين المخلوق والخالق، فلما قال ﷻ: ﴿خَلَقَ الْأَزْوَاجِ﴾ دل على تخصيص كل صنف أو نوع بما اختص به من الخلق، ولما كان الحكم بتنزيهه تعالى مبنياً على خلق الأزواج كلها؛ دل على تفرده بهذا الخلق كله، وعلى تفرده بأن يكون خلقه على هذا الوصف؛ أي: من كونه أزواجاً، ففيه إيدان بحكمته تعالى في هذا الخلق وعلمه به، وتبّه بذكر الأزواج في الأشياء على أنها لا تنفك من ترتيب ما، وأن الواحد في الحقيقة ليس إلا هو تعالى⁽³⁾، وفيه إشعار بأن كل ما في الكون من المخلوقات هو أزواج.

فائدة التوكيد بقوله: ﴿كُلَّهَا﴾:

دفع توهم
التغليب في لفظ
الأزواج وتأكيده
استقصاء
الجنس

أكد لفظ ﴿الْأَزْوَاجِ﴾ بلفظ ﴿كُلَّهَا﴾ لتقرير التعميم وتأكيده، بمعنى أنه ما من زوج إلا والله تعالى هو الذي خلقه، لما تُشعر به الزوجية من الحاجة والافتقار، وفيه دفع لتوهم إرادة التغليب في لفظ ﴿الْأَزْوَاجِ﴾، ولما أكد العموم؛ أفاد أن غيره لم يخلق شيئاً، ففيه تقرير لتنزيه الله عن الشريك في ذاته أو صفاته ودليل عليه.

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 129 / 16.

(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 133 / 16.

(3) الزاغب، تفسير الزاغب: 1073 / 3.

نوع (من) ودلالتها في الآية:

(من) في المواضع الثلاثة في قوله تعالى: ﴿مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾، والمَجْرُورُ بِهَا فِي فَحْوَى عَطْفِ الْبَيَانِ، أَوْ هُوَ بَدَلُ مُفَصَّلٍ فَيَكُونُ مَا بَعْدَهَا بَيَانًا لِلْإِجْمَالِ الْمَذْكُورِ فِي لَفْظِ الْعُمُومِ ﴿الْأَزْوَاجِ﴾ أَوْ تَفْصِيلٌ بِذِكْرِ الْأَهَمِّ⁽²⁾.

نكتة التعبير بالاسم الموصول (ما):

استعمل النظم الكريم الاسم الموصول (ما) دون (الذي) لإفادة العموم، بمعنى كل ما تُثْبِتُ الأرض فيدخل في دلالة اللفظ.

بدیع التفصيل بعد الإجمال في الآية:

جاء قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ مُجْمَلًا عَامًّا، فَأَفَادَ ذِكْرَ جَمِيعِ الْأَصْنَافِ عَلَى طَرِيقِ الْإِجْمَالِ، وَلَمَّا قَالَ بَعْدَهُ: ﴿مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ قَسَمَ هَذَا الْجَمْعَ وَفَصَّلَ الْمُجْمَلَ⁽³⁾ بِتَعْدِيدِ أَمْزَجِ الْأَصْنَافِ لِلْبَيَانِ وَالْإِيضَاحِ وَلِتَأْكِيدِ الْعُمُومِ، فَالْتَفَصِيلُ لَيْسَ لِلتَّخْصِصِ⁽⁴⁾، وَإِنَّمَا فَصَّلَ بِذِكْرِ الْأَهَمِّ؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامُ اسْتِدْلَالٍ، وَإِلْظَاهَارِ الْمِنَّةِ عَلَى الْخَلْقِ.

نكتة استعمال مفردة الإنبات:

آثر النظم الكريم استعمال لفظ ﴿ثَبَّتْ﴾ لِلإِشْعَارِ بِنَمَاءِ النَّبَاتِ فِي الْأَرْضِ، وَلَمَّا كَانَ النَّبْتُ يُطْلَقُ عَلَى مَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ مِنَ النَّامِيَّاتِ، سَوَاءٌ كَانَ لَهُ سَاقٌ كَالشَّجَرِ، أَمْ لَمْ يَكُنْ لَهُ سَاقٌ كَالنَّجْمِ⁽⁵⁾، كَانَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ﴾ جَمِيعَ مَا يَنْمُو عَلَى الْأَرْضِ مِمَّا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنْ جِنْسِ النَّبَاتِ وَمَا فِي حُكْمِهِ، وَالْإِغْرَاقُ فِي

التفصيل في
قوة الدليل
بذكر الأهم ثم
الأهم لمناسبة
الاستدلال

كل نابت داخل
في الحكم بشرط
الاتساق مع
السياق

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 167/7.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/23.

(3) ابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 134/16، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/23.

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 275/26، والنيسابوري، غرائب القرآن: 532/5.

(5) الزاغ، للفردات: (نبت).

العموم فيما ذهب إليه بعض المفسرين بأن المعادن تدخل في العموم؛ لأنها متولدة من الأرض⁽¹⁾، فبعيدٌ لفقده شرط العموم وهو الاتساق مع السياق.

فائدة التعبير بالمضارع ﴿تُنْبِتُ﴾:

جاء التعبير بصيغة المضارع ﴿تُنْبِتُ﴾، للإشعار بتجدد إنبات الأرض حالاً فحالاً، وفيه تصويرٌ لحالة الإنبات المُقتضي الإذعان والتسليم لدليل التوحيد والتنزيه.

بلاغة عطف ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ ودلالته:

عطف قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ على ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ لبيان الصنف الثاني من أصناف الأزواج؛ فالأول من الأرض وهو التراب، والثاني من الأنفس البشرية وأصلها من التراب، فاجتمعت الأصناف في الأصل، واختلفت في الأشكال والأصناف.

نكتة ذكر الأنفس للمصافة في ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾:

يُحتمل أن يكون الضمير في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ عائداً إلى الناس ليُفيد العموم، ولما كان السياق في بيان إقامة الدليل على التوحيد والحشر يوم القيامة؛ دخل فيه المشركون دخولاً أولياً، وفي اختيار مُفردة الأنفس إيماء إلى ضرورة التفكير في الأنفس التي خلقها الله تعالى من تراب، وأن مردّها إلى تراب، وبعثها من تراب، قياساً على النباتات التي يراها الخلق وهي في الأصل من تراب.

كما يُحتمل أن يكون الضمير عائداً إلى العباد في قوله: ﴿يَحْسَرَةُ عَلَى الْعِبَادِ﴾، والمراد بهم: المكذّبون للرّسول ﷺ.

سرّ عطف المجهول على المعلوم ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾:

لما كان المقام مقام استدلال، وكان الكلام يقتضي ذكر ما

اشتراك
المخلوقات في
الأصل الترابي
واختلافها في
الأصناف

قياس المكذّب به
على المسلم به
طريق القرآن في
الاستدلال

(1) الشّربيني، السّراج النّير: 3/ 349.

إعلام النكير
بجهله دافع
للإعلام بعجزه

يَعْلَمُونَهُ لَا مَا يَجْهَلُونَهُ، فَلَمَّ قَالَ: ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾؟ والجوابُ أَنَّ الكلامَ ذُيِّلَ بهذه الجملة للإيذانِ بتمام الدليل، فإنه لما أَخْبَرَ بآئِهِ خَلَقَ أَزْوَاجًا مِمَّا لَا يَعْلَمُونَ مِمَّا لَمْ يُطْلَعَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ طَرِيقًا إِلَى مَعْرِفَتِهِ⁽¹⁾؛ حَكَمَ عَلَيْهِمُ بِالْجَهْلِ فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِ الْخَلْقِ، وَبِالْعَجْزِ عَنْ إدْرَاكِ جَمِيعِ الْأَزْوَاجِ.

فائدة حذف مفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾ وغرضه:

حُذِفَ الْمَفْعُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾، وَهُوَ الضَّمِيرُ الْعَائِدُ إِلَى الْأَسْمِ الْمَوْصُولِ (مَا) لِإِفَادَةِ الْعُمُومِ، وَالْإِيْذَانِ بِكَثْرَةِ الْأَزْوَاجِ الْمَجْهُولَةِ لَدِيْهِمْ، فَيَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ زَوْجٍ مِمَّا سَيُعْلَمُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَمَا لَا يُعْلَمُ أَصْلًا، فَفِي حَذْفِ الْمَفْعُولِ دَلِيلٌ عَلَى اتِّسَاعِ مُلْكِهِ سُبْحَانَهُ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، وَعَلَى أَنَّ النَّاسَ وَإِنْ عَلِمُوا أَشْيَاءَ فَمَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْ خَلْقِ الْأَزْوَاجِ أَكْثَرُ، وَعَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَحْصُرْ سُنَّةَ الزَّوْجِيَّةِ فِي النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ⁽²⁾، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذَّارِيَات: 49]، كَمَا أَنَّ فِي حَذْفِ الْمَفْعُولِ رَعَايَةً لِلْفَاصِلَةِ وَرُؤُوسِ الْآيِ.

ملك الله متسع
لا يحيط به عقل
بشر

دلالة النفي في ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾:

عَبَّرَ بِأَدَاةِ النَّفْيِ ﴿لَا﴾ الدَّخْلَةَ عَلَى الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ لِلإِشْعَارِ بِاسْتِمْرَارِ نَفْيِ عِلْمِهِمْ وَتَجَدُّدِهِ فِي الْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالِ، وَأَنَّهُمْ مَهْمَا بَلَّغُوا مِنَ الْعِلْمِ بِالْأَزْوَاجِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يُطْلَعُوا عَلَى جَمِيعِ الْأَزْوَاجِ مِنَ الْمُغَيَّبَاتِ.

توجيه المخصوص بالذكر في الآية:

خَصَّ النَّظْمُ الْقُرْآنِيَّ بِالذِّكْرِ أَصْنَافَ النَّبَاتِ؛ لِأَنَّ بِهَا قَوَامَ مَعَاشِ النَّاسِ وَمَعَاشِ أَنْعَامِهِمْ وَدَوَابِّهِمْ، وَأَصْنَافَ أَنْفُسِ النَّاسِ؛ لِأَنَّ

ترتيب المذكورات
باعتبار مقصود
السياق

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4 / 268.

(2) رضا، تفسير المنار: 12 / 19.

الْعِبْرَةَ بِهَا أَقْوَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الدَّارِيَات: 21)، ثُمَّ ذَكَرَ مَا يَعْمُ
 الْمَخْلُوقَاتِ مِمَّا يَعْلَمُهُ النَّاسُ وَمَا لَا يَعْلَمُونَهُ فِي مُخْتَلِفِ الْأَقْطَارِ وَالْأَجْيَالِ وَالْعُصُورِ، وَقَدَّمَ
 ذِكْرَ النَّبَاتِ إِثَارًا لَهُ بِالْأَهَمِّيَّةِ فِي هَذَا الْمَقَامِ لِأَنَّهُ أَشْبَهُ بِالْبَعْثِ الَّذِي أَوْمَأَ إِلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ
 كُلُّ لَنَا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (1).

(1) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 17/23.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 47، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-731-00-9

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 47: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-731-00-9

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»